الحاجة إلى انطولوجيا عربية للتفكير في ما ينقذ المصير– حوار مع "علي الحبيب الفريوي"

أحمد ماريف

طالب باحث في الدكتوراه،جامعة عبد الحميد بن باديس،مستغانم،الجزائر

تشهد الفلسفة العربية عموما والمغاربية خصوصا نشاطا فكريا يطرح العديد من الأسئلة، ويحمل الكثير من الرهانات التي تسعى إلى إعادة النظر في مقولات الفهم، والى مراجعة مفاهيم التفكير التي تشكل بنية العقل العربي، حيث ظهرت الكثير من الكتابات الفكرية الجادة التي اهتمت بقضايا الفكر والإنسان في منعطف الألفية الثالثة التي شهدت العديد من المنعرجات والتحولات، غيرت من جغرافية الفكر ورسمت مركزية عقل أداتي عولمي يسعى إلى تهميش الأطراف وتذويب خصوصيتها الثقافية. مثل الدكتور التونسي علي الحبيب الفريوي أستاذ الجماليات والسميائيات بالجامعة التونسية، احد المهتمين بالفكر الغربي والعربي خلال السنوات الأخيرة، والذي جمعنا به هذا اللقاء في أعقاب الملتقى الدولي حول جاك دريدا الذي انعقد بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة عبد الحميد بن باديس–بمستغانم يومي:18 و19 نوفمبر 2014. وكان فرصة لطرح العديد من الأسئلة وتوضيح الكثير من المسائل والآراء والتصورات حول قضايا الفكر والفلسفة، فارتأينا أن يكون هذا الحوار بداية تواصل مع قرائنا الأعزاء.

أ ماريف: مرحبا بك ضيفا في هذا اللقاء، في البداية كيف يمكن أن يقدم علي الحبيب الفريوي نفسه للقارىء؟

د الفريوي: يشرفني أن يمتحنني القارئ الكريم على صفحات مجلتكم، في هذه الاستضافة الحرة والمفتوحة على أسئلة تتشابك مع الراهن و تلامس اليومي العربي، وتسعى إلى إنارة الطريق الذي لم يعد تفكيرنا قادر على مساءلته . اعتقد أنني قارئ للنصوص التي تخترقني، وتجتاحني بأسئلتها المدهشة. احترز من اللغة، ولا ادعي الفهم المطلق للحقيقة. لا أؤمن بسلطة الأسماء على الأشياء، ولا بسلطة الخطاب على التفكير.

امتدت رحلتي مع النصوص بكل أجناسها منذ أن كنت طالبا في جامعة دمشق. درست الفلسفة عند أساتذة كبار، بديع الكسم، طيب تيزيني، غانم هنا. ثم التحقت بالجامعة اللبنانية، ونلت الماجستير في الفلسفة الغربية المعاصرة. ودرست عند كبار الأساتذة، موسى وهبة، جورج زيناتى، علي زيعور، وسعاد الحكيم، والبروفيسور مي زيادة. عدت إلى الجامعة التونسية، ونلت الدكتوراه بأطروحة حول هيدغر، بإشراف الأستاذ محمد محجوب. نشرت كتابين، هما نقد العقل الميتافيزيقي، والفن والحقيقة،عن دار الفارابي، بيروت. ومن حسن الحظ، أن ما كتبته فيهما مقروء عند القارئ الجزائري في الجامعات وخارجها .

التحقت بالجامعة لتدريس علم الجمال والسيميائيات بمعاهد الفنون. كانت لي تجربة قصيرة في جامعة التحدي الليبية لما كنت ببيروت. كنت في تواصل مع المفكر مطاع الصفدي ،أين نشرت بعض الدراسات في مجلته الفكر العربي المعاصر .كان الرجل يعتقد أن مهنة التدريس في الجامعات العربية تنهك المفكر وتجفف قلمه، وبعد هذه الفترة الطويلة من انقطاع التواصل أدركت أن الأستاذ الصفدي كان على صواب، وان التدريس لا يمنح الأستاذ تقوى التفكير وعهد الانفتاح. فعدت مجددا إلى مواصلة البحث الأكاديمي، وسجلت أطروحة جديدة مقاربة فينومينولوجية في فن التصوير بين هيدغر وميرلو بونتي. تحت إشراف الأستاذ محمد محسن الزارعي.

أ ماريف: كيف يعتبر الدكتور علي الحبيب الفريوي نفسه هل هو فيلسوف أم باحث فلسفة أم عالم اجتماع؟

د الفريوي قلت لك إنني لست فيلسوفا، بل إنني محب للنص الفلسفي الجيد الذي يدهشني ويفاجئني لأنه يجيب عن أسئلتي بأسلوب راقص لا يقف عند العتبات بل يسعى إلى مجاوزتها على الدوام. يمكن اعتبار نيتشه آخر الفلاسفة الكبار الذي رسم لنفسه نسقا خارج الأنساق الفلسفية الكبرى، واكتملت على يديه المبدعتين الفلسفة الغربية كما يرى ذلك هيدغر. إنني لست باحثا في الفلسفة، لان الفلسفة لا تقوم على البحث بقدر ما تقوم بالتفكير في السؤال لكونه تقوى الفكر. يبقى عالم الاجتماع هو المهتم بالأبحاث الميدانية الاجتماعية، والتي تسمح لنا بفهم بنية المجتمعات، شان كل العلوم الأخرى التي تبحث في الإنسان. منذ مدة أصبحت أقرا كل ما يخص الشأن الفني، وابحث عن الفكر الذي يؤصل العشق بين الفلسفة والفن، لاعتقادي أن التفكير الحر والمبدع عليه أن يمر من هذه التقاطعات. فمساحة المحايثة التي تحدث عنها جيل دلوز، هي محايثة أنطولوجية لفكر يستلهم أسئلته من هذه العلاقة الحدثية بين الفن والفلسفة. ما نحتاجه ونتطلع إليه هوا الاستفادة من التجارب الفنية ودراستها، والانطلاق منها لممارسة التفكير في ما ينقذ المصير. والسعي إلى الإفراج عن أسئلتها والتفكير

بعوالمها المرئية واللا مرئية نداء لا يماسف بين الفلسفة والفن، لان الإبداع الإنساني مشروط بشخصية إبداعية تجمع بين نحت المفهوم و رؤية العالم، لأجل ممارسة رغبة الوجود دون قيود أو ضرورة قاسية، تمنعنا من بهجة الحياة الراقصة. يبقى أن أقول عن نفسي، إنني أفكر من داخل العمل الأكاديمي في غياب المؤسسات البحثية التي تجمعنا على ضيافة التفكير.

أ ماريف: يمثل موضوع أطروحة الدكتوراه التي تعدونها الآن، مقاربة فينومينولوجية لفن التصوير بين هيدغر وميرلوبونتي. فما هي الإشكالية التي عالجتموها في هذه الأطروحة. وما هي النتائج التي يمكن التوصل إليها؟

د الفريوي نعم سيدي. كان عنوان هذه الأطروحة يحرضني على اخذ موقف نقدي من العلاقة المتجمدة بين الفن والفلسفة في جامعاتنا العربية ،أو بين الأنطولوجي والميتافيزيقي. هناك تماسف بين ما يدرس في أقسام الفلسفة وما يقدم لطلبة معاهد الفنون، وفي هذه القطيعة المفتعلة يموت الإبداع سواء في إبداع المفاهيم أو في إبداع الإعمال الفنية. لما اطلعت على بعض من فكر هيدغر و أدركت ما يفكر فيه هذا الجرماني ، تيقنت أن العقل العربي تهيمن على أبنيته عدمية مضاعفة، وأن لا شفاء منها إلا بالعمل على التأسيس لانطولوجيا تجمع بين الفلسفة والفن وبين المفكر والفنان في شخصية تحمل نبوءة التفوق.

في اعتقادي لم يعد للفلسفة قرار بعد الختم النيتشوي على بيانها الأخير. بمعنى أن الجيبالوجيا أو الحفر في الأصل كان بيان نهاية الأنساق الكبرى وبداية التفكير الشذري. مثل نيتشه النقطة الأخيرة التي انضافت إلى الدائرة لكي تكتمل حركة الصيرورة، ويتفعل زمان العود الأبدي، ويبدأ الإصباح الجديد للتفكير، بدو لم ير فيه هيدغر إلا لحظة اكتمال الميتافيزيقا دون مجاوزتها نحو أنطلجة الوجود .كان هيدغر مصرا على عدم شفاء الإنسان من رشح الميتافيزيقا، وان قدره أن يظل في فجوة الانتظار، وأن عليه أن ينفتح على مقام الفن للعبور إلى المستقبل.

فإذا كانت الفلسفة قد باعدت منذ أفلاطون حتى نيتشة بين الوجود ولزمان، فان الإبداع الفني هو الأقدر على رتق هذا الشرخ الذي ولد من فجوته الفكر الميتافيزيقي. ففي العمل الفني يتزمن الوجود ويستعيد مستطاعه الانطولوجي للإنكشاف، وللعبور إلى الضفة المقابلة. ذلك ما يعالجه كتابي نقد العقل الميتافيزيقي الذي بحثت فيه تجربه هيدغر في مساءلة الميتافيزيقا ونقد التراث الغربي، ووقفت فيه عند الأسلوب الذي فكر به، والأسئلة التي وجهها إلى العقل الحداثي، وهي أسئلة تحرض على المجاوزة والعبور إلى المستقبل. ربما أسئلة عجز العقل العربي على طرحها، وأختام لم يستطع هتكها فأصبحت مفازات بلبلت لغتنا وشردت تفكيرنا. ذلك ما نحتاجه نحن العرب.أ ن نتمرن على طرح الأسئلة، وعلى المقاومة دون أن نسقط في التقليد. فالحل ليس في دفاتر الفلسفة الغربية.

لما التحقت بمعاهد الفنون الجميلة، ودرست علم الجمال. أدركت أن هيدغر كان على صواب، لما ماثل بين الجماليات المتعالية والميتافيزيقا ،لأنهما في رأيه وجهان مختلفان لعملة واحدة. نسيان الوجود والتفكير بالموجود . ذلك ما ناقشه كتابي الفن والحقيقة، والذي جعلني أعيد النظر في أفكاري، واسعي إلى تحريرها من اللبس ومن الظلال، وأن امنح الأولوية الانطولوجية للعمل الفني بعد أن كنت اعتقد في أولوية الفكر الجمالي الفلسفي. إن إنهاء الميتافيزيقا والتحرر من عقم تفكيرها لا يتحقق إلا بالتحرر من الحقيقة المتعالية ومن التطابق المطلق . فما يحتاجه العقل العربي هو منح العقل الإبداعي و العقل الفني الأولوية للتعبير عن معنى وجودنا، والتشريع للمفكر أن يحولها إلى أسئلة و أفكار. ذلك ما لم ينتبه إليه من اهتم بدراسة قضايا التراث العربي و مشكلاته . تبدأ قراءة التراث بإعادة تقييم علاقتنا بالإبداع وبالفنون، والتسويغ للفنان أن ينال شرف المكانة الفكرية التي حظي بها المفكر .وقد تناولت هذه المسائل والأسئلة في الجزء الثاني من الأطروحة التي انا بصدد انجازها، والتي تتناول الرؤية الانطولوجية التي درس بها ميرلو بونتي التراث الغربي من باب وجودي فينومينولوجي. إذ يمنح ميرلو بونتي الأولوية الانطولوجية للفن لإعادة وصل الكائن بكينونته. ويثمن دور العمل الفني في تشكيل العالم وفتحه للسكن والتواصل. فالفنان قادر أن يمنحنا المستطاع الفكري لنحت مفاهيمنا وإنشاء أدواتنا لمجاوزة انفعالات الحداثة، بعد أن تعثرت منجزاتها وتحولت إلى كوارث تهدد الأرض والإنسان. سعى ميرلو بونتي في نصوصه إلى إعادة رسم حدود الفلسفة، والتفكير في منعرجها وفي الانبثاق إلى حدثية الإنغراز ومعكوسية التشابك بين الجسد والطبيعة والغفل، لإبداع عمل فني يعبر عن وجودنا في العالم .

ربما لهذا السبب جمعت في هذه الأطروحة بين هذين الفيلسوفين كمنطلق للبحث في ما يحرر الإنسان من اللوث الميتافيزيقي، وتقديم تجربة في التفلسف وفي محاورة التراث والتفكير في أسئلته من منظور انطولوجي. ولعل الأهم من هذا كله هو الانفتاح على أسلوب جديد في

التفكير وفي التعامل مع التراث، وفي مجاوزة ما استنفذ محتواه . بمعنى كيف يمكن للفكر العربي أن يستثمر هذه الأساليب الفكرية لكي يمتلك شروط الحركة بين الضفاف ويستطيع الانخراط في الزمان التاريخي الذي يتوطن عقلنا العربي خارجه.

أ ماريف: كيف يستطيع الفيلسوف أن يسكن مع الفنان بيتا واحدا ويشاركه فضاءها دون خصومة؟

د الفريوي: ليست هناك خصومة بين الفنان والفيلسوف. ومن يقول بالخصومة فهو لا يدرك الصراع العشقي بينهما، والمحبة التي تشدهما إلى نحت الوجود. إن الفلسفة من طبيعتها أن تسكن كل البيوت وتتنافذ على كل الأسئلة، ليست لكونها آم العلوم والمعارف، إنما لأنها من تهب تقوى الأسئلة. ووجودي في معاهد الفنون مثل غيري من الأساتذة وجود محمود ومطلوب، كما على الفنان أن يتواجد في كل الفضاءات وكل الاختصاصات النظرية، لأنه يستطيع إبداع المحايثات وتحويل المفاهيم التي نحتها الفيلسوف إلى أعمال فنية تمنحنا حدثية الوجود في العالم.

إن ما ندرسه، وندرسه في جامعاتنا العربية وفي كل الاختصاصات يبقى مجرد تلقين لمعارف استنفذت محتواها. نحتاج إلى التحول من التلقين إلى الإنتاج والإبداع. ففي الفلسفة، و رغم وجود أساتذة كبار في المشرق والمغرب، ظل المنتوج ضعيفا. لم ننل من دروس الفلسفة سوى أفكار مجردة. ولم نتعلم منها سوى سرد لتاريخ طويل بدون رهانات. لم نتدرب على التفكير ولا على طرح الأسئلة حول سؤال ما ينقذ المصير. كان مدرس الفلسفة يدرسنا فلسفة بلا وطن و بلا نوابت تتجذر في عالمنا المعيش.

أما حين دخلت معاهد الفنون الجميلة للتدريس. اكتشفت قحطا انطولوجيا وهيمنة لميتافيزيقا اليومي. لم أعاين إبداعا فنيا يصل الرؤية بالتفكير والعين بالعقل ويشبك بين الفن والفلسفة لصقل مواهب قادرة على الإبداع، وعلى المساهمة في تأسيس انطولوجيا منقذة، ترسم لنا منعرجات فكرية لإنقاذ مصيرنا العربي من الانزياح المميت خارج حركة الزمان التاريخي. فطالب الفنون عبارة عن حرفي أفلاطوني، عليه الالتزام بقوانين الحرفة ومتطلبات الصنعة دون تفكير أو خيال أو حلم ببهجة الحياة.

اعتقد أن هذه الفجوة تحتاج إلى إصلاح جذري، يعيد النظر في العلاقة بين الفن والفلسفة في جامعاتنا العربية، في ضوء إيجاد تنافذ بين الفنان والفيلسوف، اقتداء دون تقليد بعلاقة هيدغر وفان جوج وميرلوبونتي وبول سيزان. ينبهنا جيل دلوز إلى أنطولوجية العلاقة بين الفنان والفيلسوف. ينحت الأول من اللغة وجودا مفهوميا، ويتكفل الثاني بنحت وجود من خامات الطبيعة وغفلها، وفي كلتا الحالتين يفتح بينهما دلوز لقاء صراع عشاق، فكل منهما يحتاج إلى الآخر لنحت معنى وجوده بطريقته الخاصة.

ثمة إذن تقصير فكري، وربما تحت غطاء اديولوجي في ما يجمع الفلسفة والفن. إن كان في موت الفن عند هيجل ولادة للفلسفة فالأجدر أن تكون ولادته ولادة للتفكير الفلسفي، وموته هو موتها ونهايتها. يعتقد دلوز أن مفكر المحايثة يجب أن يجمع بين رؤية الفنان وسؤال الفيلسوف. يصعب على الفلسفة أن تنحت مفاهيمها وتجددها دون انفتاح على انطولوجيا العمل الفني كما لا ابداع فني اصيل دون انغراز الفنان في تقوى الأسئلة وعهد التفكير.و لهذا علينا إذا أردنا الشفاء من الميتافيزيقا أن نتضرس في عالم الفن، حتى لا تميتنا الحقيقة.

أ ماريف: تهتمون بالفكر الغربي، وبخاصة هيدغر الذي أنجزتم حوله أطروحة دكتوراه. كيف يمكن أن نستثمر هذه الانطولوجيا لفهم مجتمعاتنا العربية ولتحرير عقلنا من العطالة الفكرية؟

د الفريوي . إن اهتمام القارئ العربي بالشأن الفلسفي يظل محدودا أو معدوما، فما عدى اهتمام الأكاديميين بالنشاط الفلسفي، فانه قل وندر أن نجد من يهب عطاءه الفكري ويسخر مستطاعه الإبداعي لتبادل الضيافات الفكرية مع فلاسفة الغرب. وأن نكون ضيوفا على موائد نصوصهم متونا وهوامش للتعرف على طريقتهم في التفكير، وفي طرح أسئلتهم حول ما ينقذ مصيرهم. إن كل فلسفة أصيلة لا بد أن تبحث في ما ينقذ، وفي ما يحرر الإنسان من كل القيود والشروط التي يفرضها اليومي. سمحت قراءتي لهيدغر ولميرلو بونتي أن أجوب تاريخ الفلسفة الغربية من هرقليطس إلى ديلوز وبول ريكور، وان أقف عند منعرجاتها ومنعطفاتها وعند إنتهاءاتها الكبرى.

إن قراءة نصوص الفلسفة الغربية حاجة ملحة، ومطلب ضروري ليس لمعرفة مشكلاتها وأسئلتها التي يحاور فيها فلاسفتها مشكلاتهم، ويتطارحون فيها ازماتهم فما نحتاجه ليس التحصن بها والاعتقاد في كرم متونها وفي انفتاح أسئلتها على واقعنا العربي ، فحل مشكلاتنا لا يوجد في دفاتر هذه الفلسفة، لاختلاف أسئلتنا عن أسئلتها ولاختلاف مشكلاتنا عن طبيعة مشكلاتهم . مانحتاجه نحن العرب من هذه الفلسفة القارية المتمركزة حول ذاتها، **هو اكتشاف أسلوب تفكيرهم وكيف يفكرون في مشكلاتهم، وكيف يطرحون أسئلتهم ويقرؤون**

تراثهم، وكيف يقوضون مغاليقه ويفككون أختامه ويتجاوزون عتباته. بمعنى آخر، أن لانهيم تقليدا وتيمما بما ينتجونه، وإنما أن نتعلم منهم الشجاعة في نقد البداهات وتفكيك المسلمات التي حولت تراثنا إلى مرويات كبرى مقدسة، مختومة بختم التعالي التيولوجي ومبهورة بمثالية مفارقة. لقد فكر أفلاطون في ما ينقذ الإغريق، وتفلسف ابن رشد في ما ينقذ العرب والمسلمين كما أسس ديكارت لحداثة غربية تحرر العقل الغربي من ظلمات جهل القرون الوسطى. سعى نيتشه ومن بعده هيدغر إلى تقويض الحداثة الغربية ومجاوزتها بعد اكتمالها ينقذ بفعل هيمنة ميتافيزيقا التقنية.، وعجزها على طرح سؤال ما ينقذ. لم يفكر الغرب في ما ينقض مصير العرب والإسلام، بل إن هيغل يرى في العرب شعوبا غير مؤهلة للتفلسف والمساهمة في تشكيل خريطة العقل .نحتاج نحن العرب إلى يوم من التفكير النقدي. نحتاج إلى يوم نيتشوي نتعلم فيه أسلوب الرقص المبدع لبهجة الحياة، ونتقن فيه طرح سؤال ما ينقذ المصير وما يجنبا البقاء في الهاوية التي تحولت بفعل ثقافة العولمة إلى هوة رقمية .

نحتاج نحن العرب إلى يوم فلسفي، والى يوم رشدي وخلدوني. نحتاج إلى ابن طفيل والفارابى والكندي، والى كل من ساهم في طرح سؤال الفلسفة العربية ،لكي نهتدي بتفكيره إلى ما ينقذ مصيرنا ويحصن معنى وجودنا في عالم متحول بلا خرائط. إن فكر ابن رشد في حال العرب وفي ما يعيق تفكيرهم ويمكنهم من الإشعاع الحضاري، وإحداث قطيعة انطولوجية في بنية العقل جعلته يتجاوز إبلالاته الميتافيزيقية. ظل الفكر العربي المعاصر سجين التقليد والانبهار بانجازات الحداثة الغربية، دون أن يرسم لنفسه مشروعا حداثيا خاصا، ودون ان يكون واعيا بالاختلاف بين أسئلتنا وأسئلتها **و**بين التمايز الثقافي واللغوي والانطولوجي الذي يجعل من تراثنا الثقافي مدماكا من مداميك الحضارة الإنسانية. يمنحنا تراثنا اختلافا ثقافيا وثراء لغويا، ويحرضنا على أن نفكر بأنفسنا، وان نطرح سؤال ما ينقذ بلغة عربية تهبنا معنى ما نكون به وجودا في العالم، دون أن نستعير من الآخر لغته للتفكير في ما يحررنا من السقوط في الهاوية. أو نطرح حلولا كان الغرب قد طرحها لتجاوز أزماته وحل مشكلاته. فالحلول الحضارية لا توجد في دفاتر الفكر الغربي ،إنما على المفكر العربي أن يؤمن بأهمية التفكير عربيا في شاننا الخاص، وبلغة عربية تنحت مفاهيمها من عالم المعنى وتنغرز في فطيره المتوحش، لتأسس فكر انطولوجي يدفع بالتفكير العربي إلى طرح سؤال ما سيكون عليه مصيرنا في المستقبل.

أ ماريف: لقد سبق وأن زرت الجزائر، وتحديدا جامعة ابوبكر بلقايد بتلمسان وأنت الآن بجامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، فما هي قراءتك للتجربة الفكرية والفلسفية الجزائرية من خلال هذه الزيارة ؟

د الفريوي: اعتقد ودون مبالغة أو مجاملة، إنني كنت احمل التصورات ذاتها عن التجربة الأكاديمية الجزائرية قبل زيارتي. فهي تجربة ناشئة ومثال يحتذى به ونفتخر بمنجزاته. شهدت الجامعة الجزائرية بمختلف جامعاتها ومؤسساتها تطورا كبيرا في كل الأصعدة. عندما زرت جامعة ابن باديس بمستغانم والتقيت بأساتذتها وطلبتها، عاينت المجهود المضاعف الذي يبذله كل القائمين على شانها، لأجل الرفع من مستوى مقدراتها العلمية والبحثية .

إن كثرة المخابر البحثية وتعدد الملتقيات العلمية الوطنية والدولية، وتعدد المنشورات من كتب ومجلات ودوريات، ووجود المكتبات التي توفر للباحث المادة البحثية، ومضاعفة الفرص أمام طلبة المرحلة الثالثة لانجاز رسائلهم وأطاريحهم يعكس جليا تطور المناهج ونضج العملية التعليمية. ولعل المستقبل القريب سيؤكد هذه الصحوة ويثبت جدارة هذا الانعراج نحو تفعيل العمل الأكاديمي وفتح الجامعة على محيطها الإنساني. وتبقى هذه النقلة محاولة إصلاحية وتحديثية تحتاج إلى المتابعة، والى الدعم والمحافظة على الانجازات ومجاوزة العراقيل.

أ ماريف: سمعنا مؤخرا عن مشروع الجمعية الفلسفية المغاربية. فهل انتم ضمن هذا المشروع. وماهي تصوراتكم لأهداف هذه الجمعية ومستقبلها؟

د الفريوي بتقديري الشخصي، إن تأسيس جمعية فلسفية مغاربية حدث يبعث على التفاؤل وعلى الحلم بولادة مشروع فكري، قد يكون مساهما في ولادة جيل مبدع ومفكر بسؤال إنقاذ المصير المغاربي خصوصا، والعربي عموما. أتمنى أن تبعث على هديها جمعيات فكرية وعلمية وثقافية تفتح سبل الحوار البناء، و توحد بين أبناء هذه الجغرافيا الفكرية المعطاءة، بعد أن عجزت السياسة في بناء وحدة المصير المشترك. بمعنى أن العرب يحتاجون اليوم الى سؤال مشترك قبل الحديث عن مصير مشترك، كما تروج الى ذلك الاديولوجيات السياسية والدينية.

إن ما يتطلبه قيام هذه الجمعية الفلسفية هو مقاومة العراقيل وعطب الحدود، لان الفلسفة بطبيعتها لا تحتاج إلى جواز سفر. والفيلسوف لا تحركه التأشيرات لعبور البوابات. ولعل الأهم من ذلك أن ولادة هذه الجمعية لم يأت مدعوما بقرار سياسي، يخول لها ممارسة نشاطها بحرية ودون رقابة، ويدعمها ماديا. فكم من جمعية عربية في مجال الفكر توقفت عن النشاط، وكم من مجلة أغلقت نتيجة الضائقة المالية، ونتيجة للحصار الذي يطوق قلمها الحر عندما يتعارض خطابها مع خطاب السلطة. إن تأسيس هذه الجمعية هو نتيجة لجهود بعض المفكرين الاكاديميين الذين اجتمعوا لخير هذا الوطن، ولمصلحة هذا العقل العاطل عن العمل. أتمنى أن ترى هذه الجمعية النور عن قريب، وان تساهم في التحرير والتنوير الذي يسبق الحداثة، وان اكون من الناشطين والداعمين لمسيرتها الفكرية والإبداعية .

أ ماريف: ما هو تقيمك للكتابات الفلسفية والإبداعية في دول المغرب العربي تونس الجزائر والمغرب؟

د الفريوي يفتخر العرب بما يكتبه المفكرون والمثقفون في المغرب العربي من إبداع في كل مجالات الثقافة والفكر، وما ينشرونه من أعمال نقدية وروائية رائعة، وما يترجمونه من أمهات النصوص الكبرى. وهو إبداع ينقل روح المعنى ويجنبنا النقل الحرفي للنصوص الوافدة على لغتنا. ويساهم في تحريرنا نسبيا من خيانة الترجمة ومن العديد من الترجمات المؤدلجة التي حرمت أجيالا من الاطلاع على روح النصوص الهامة. فنحن الآن نفهم ماركس ونيتشه ليس كما فهمه السابقون منا.

اعتقد أن الإنتاج لا يفي بالحاجة في غياب التشريع الذي يحمي حقوق المبدع، وفي غياب القارئ المتخصص نتيجة ظروف متعددة. وإن تحدثت عن الإبداع الفكري، نرى غياب الأقلام المتفرغة والأصوات المبدعة التي تشتغل على النص الفلسفي .فالمفكر في مغربنا الكبير هو أكاديمي يمارس التدريس في الجامعات دون حوافز، وفي ظل ظروف حياتية ومعيشية صعبة لا تحرض على الإبداع الحر، ولا على التفكير بماهية الأشياء وبما يعمق ارتباطنا بانطولوجيا الأسئلة المصيرية.

مازال المجتمع العربي في المشرق والمغرب يتعامل مع الفلسفة بتحفظ، تحت امراة فكر عقائدي تقليدي لا يقبل بالتأويل ولا يعترف بالمجاوزة. نحتاج إلى تفكير ديني متكوثر مفتوح على الاختلاف وعلى الآخر. فأزمتنا الروحية تحتاج إلى مفكر يجمع بين الفلسفة والفقه. أن ينبت بيننا فيلسوف فقيه وفقيه فيلسوف بقامة أبو الوليد ابن رشد، يحرر تفكيرنا من الدوغمائية الفلسفية والغنوصية الفقهية ويرسم لنا مشروعا حدثيا في التنوير والتحرير.

إن منتوجنا الفكري والأدبي في المغرب العربي منتوج متنوع وجيد، لكنه لا يوفر كل ما نحتاجه فاغلب النصوص المهمة في الرواية كتبت بالفرنسية. ومازال بعض مفكرينا يصرون على استعمال لغة الآخر أداة للكتابة. وهو في رأيي تقصير، لان كل تفكير مخصوص بلغته، فان نفكر عربيا هو أن نستعمل اللغة العربية التي لم نسعى إلى تطويرها وجعلها لغة الإبداع والتعبير. فالحديث عن نهضة فكرية مغاربية يقترن بوجود لغة عربية ناهضة في مفاهيمها واصطلاحاتها، تسمح لنا بشرف الحديث عن مدرسة إبداعية. إن تجربة الخطيبي ومالك بن نبي وابن عاشور وفي ما بعد الجابري وأركون وجعيط تظل تجارب ثرية، تحتاج إلى القراءة والى تأويل أسئلتها وفتحها على راهننا. أما بقية الكتابات فيغلب عليها الجانب الأكاديمي، فهي في مجملها دروس تقدم للطلبة أو هي منشورات لأعمال علمية أكاديمية.

أ ماريف: كيف نستطيع أن نؤسس لفكر تنويري أو لمشروع حداثي عربي. وهل ترى أن التطلع لهذه الحداثة أمر ممكن؟

د الفريوي: ليس من السهل أن أجيبك عن هذا السؤال الحارق بهذه السهولة والتلقائية. فسؤالك يمثل سؤال كل الأسئلة التي يطرحها الفكر العربي. ربما يكون هذا السؤال أهم الأسئلة التي تطرحها هذه المقابلة. قبل الحديث عن حداثة عربية وجب أن نكون تاريخانيين وقادرين على القفز إلى الوراء والى أصل الأزمة وفصلها. ففي رأيي إن مساءلة البدو الأول مهم جدا لكي نسائل الحاضر. فما يمر به العقل العربي الآن هو نتيجة لعطب أصاب أصباحه ولقحط جفف منابعه. نحتاج نحن العرب إلى شجاعة، بشجاعة نيتشه والى شهداء بقامة سقراط لمقاومة وضع رديء وللشفاء من وهم ووهن ينخر جلدتنا منذ قرون. يمكن أن نحدد بدو الأزمة وامتدادها الكارثي إلى الآن منذ ذلك اللقاء السجالي بين أبو الوليد ابن رشد وأبو حامد الغزالي. كان فيه الحسم للنقل والإتباع على حساب العقل والإبداع. انتصر الفكر الأشعري واسكت نداء العقل وحول خطابه المستنير إلى تهافت وزندقة. واغتيل الفيلسوف بتهمة الإلحاد وإفساد الشبيبة والدعوة إلى الخروج عن الملة .

منذ تلك الحادثة الصادمة سلبا، لم نعد ننتج فكرا ولا نمارس تفكيرا اعتمدنا على العلوم النقلية، ودخلنا في صراعات مذهبية ذكتها الفتن السياسية. لم يعد العقل قادرا أن يتجاوز أزمته أو التفكير في ما ينقذ المصير. والنتيجة المرعبة مايمكن ان نستقصيه من كتب التاريخ وما تقلص جغرافية العالم العربي الإسلامي إلا نتيجة طبيعية لتقلص جسد عقله وتراجع حدود تفكيره .

إن من نتائج هذه الأزمة التي أتاخت على العقل العربي و غمرته بميتافيزيقا راشحة في النسيان الميتافيزيقي، وبغيمة موغلة في الابلال التيولوجي، انفساخ قحط انطولوجيا فتح لنا حدود تبعية قاسية لحداثة غربية غريبة عن واقعنا العربي وذائقته الإسلامية. لم نكن يوما سؤالا من أسئلتها، و لا موضوعا من رهاناتها و انجازاتها.

عندما نتحدث عن حداثة عربية، يجب أن يسبق ذلك ثورة تحديثية تأتي على كل موروثنا الثقافي، وتطال أدواتنا التفكيرية . ليس سهلا أن نؤسس لحداثة دون إحداث قطائع، ولعل أبرزها القطيعة الانطولوجية التي تتناول إمكان الإنهاء والمجاوزة للإرث الميتافيزيقي الذي حجب عنا التفكير في وجودنا، وفي ما ينقذ مصيرنا من الغفلة والنسيان. هناك أزمة في المفاهيم و في أساليب التفكير وهناك عطالة لغوية طالت وجودنا ونالت من هويتنا اللغوية. كيف تحرض العقل على التفكير بدون وجود لغة متضرسة في المعنى، ومنغرزة في الفكر وقادرة على إنتاج مفاهيمها وتشكيل خطابها. كيف يمكن أن نتواصل مع ثقافة معولمة لغتها الانجليزية وسيميائيتها سيبارنيطيقا حاسوبية، ليس فيها للغتنا مكان وإمكان، عندما نتحدث عن حداثة عربية نجد أنفسنا امام سؤال وجب طرحه و تفعيله. وإلا نظل عرضة لازمة المفاهيم التي لم ننل الشفاء منها. ماذا تعني الحداثة وهل يمكن أن نبلغها بلغة الغير، دون وجود لغة عربية قادرة أن تحرض فينا سؤال التفكير في ما يخصنا. وهل أن مطلب هذه الحداثة غير مقترن بمطلب التحديث، الذي اعتبره أولوية خطونا فيها شوطا بعد الاستقلال الجغرافي وليس السيادي. مثل مطلب الحداثة شرف العقل وعهد الفكر وحلم العرب جميعا في منعطف الالفية الثالثة، لا بقاء فيها للفكر الارتكاسي، ولا موطن قدم لغير مستطاع القوة ونبوءة المتفوقين. ولذلك أرى من واجب أولي الأمر منا الانتباه إلى أهمية التفكير في التأسيس لهذه الحداثة المؤجلة على الدوام، والى تحويلها من حلم إلى مشروع يمكن أن يتحقق لو سارعنا بعملية التحديث الاجتماعي والسياسي.

يسمح التحديث بتوفير شروط التفكير ومناخ الإبداع. وبإمكانية التحرر من ميتافيزيقا اليومي والانفتاح على أسئلة المستقبل. ونعني بها أسئلة الحداثة التي لا تتزمن إلا في ما سيأتي، ولا تتحقق إلا في منعرجات القطائع الانطولوجية والابستيمولوجية وكذلك الاكسيولوجية التي تتشكل كلما استنفذت الحداثة معنى سؤالها، وفقدت ماهية وجودها. معنى ذلك، انه ثمة حداثات وليست حداثة واحدة تجعلنا دائما على أهبة للعبور إلي الضفاف والى الوقوف على العتبات.

إن من أهم عوائق انجاز الحداثة العربية هو التفكير بالحاضر، دون أن نشده إلى أصوله الانطولوجية والى بدوه الذي يفرض على المفكر العودة إلى الوراء. ليس انشدادا إلى الماضي وإنما انفتاحا على بدء يكون الوثب منه سهلا إلى الإمام. بمعنى أن حداثتنا العربية تحتاج إلى تزمين ، والى زمانية تمتد بأسئلتنا إلى المستقبل، طالما أن الحداثة مشروع وما ينقذ المصير في المستقبل .

لهذا أجد في تراثنا منتوجا إبداعيا وفكريا أحاط به النسيان الميتافيزيقي، ويحتاج إلى ذاكرة تستدعيه و تعيد إليه هالته وبريقه، وهو استدعاء من شانه أن يسرع في إحداث منعرج يفتح مغالق التفكير ويضع مشروع الحداثة في مساره الانطولوجي. نحتاج إلى قراءة عميقة ونقدية للتراث، لا تميز بين ماهو روحي وما هو مادي، وهو ما يجب أن نختلف فيه مع الحداثة الغربية، التي أقامها ديكارت على كوجيتو من الثنائيات، والتى انتهت إلى ميتافيزيقا مضاعفة جسدها عنف ميتافيزيقا التقنية. إن من شروط قيام حداثة عربية هو التأسيس لعقل يفكر من عمق الزمان التاريخي. يستطيع أن يكشف عن المسكوت عنه ويحول اللا مفكرفيه من تراثنا موضوعا للتفكير. هناك مرحلة مهمة من تاريخنا لم يأت عليها التاريخ، وأن تناولها المؤرخون فبذاتية وتحريف. وهناك فراغ فكري وقحط انطولوجي يمتد منذ محنة ابن رشد وانطفاء جذوة التفكير العقلاني إلى يومنا لم نتناوله ولم نسائل عجزه ورداءته. ولعل التأسيس لانطولوجيا عربية تملأ هذا الفراغ التاريخي وتمنحنا زمانية بمساحة العقل العربي، قد تشرع لنا طرح سؤال ما ينقذ، أو السؤال الذي يخول لنا طرح مشروع حداثة عربية. إن سؤال ما معنى أن نفكر هو المنقذ والمنفذ إلى الحداثة المأمولة .

أ ماريف: تحدثت عن أهمية اللغة في البناء الحداثي كيف نقيم لغتنا العربية في وضعها الراهن؟

د الفريوي: اعتقد أن انجاز حداثة عربية في مجالها الابستيمولوجي وفي حقلها الاكسيولوجي، يستوجب في البدء القيام بحداثة انطولوجية، تتناول علاقتنا باللغة العربية، لان التفكير أو تحديد قوى الفهم الإنسانية مشروط باللغة. وحين نتحدث عن عطالة العقل العربي فنحن نتحدث عن عطالة لغوية. إن ما نحن فيه من أزمات مادية وروحية هو نتيجة القحط الانطولوجي الذي اجتاح لغتنا وحنط معانيها وكبل مفاهيمها. لا يمكن أن نفكر خارج اللغة، ولا نستطيع أن نسمي معنى الشيء خارج الكلمة، لا نقدر أن نمارس مستطاعنا التعبيري دون لغة مبدعة، وأساليب خلاقة تحرض العقل على التفكير الخلاق. يذهب هيدغر إلى أن اللغة هي بيت الوجود ،وان إنقاذه من النسيان الميتافيزيقي محمول على اللغة وعلى ما تبدعه من استعارات حية، تسمح للإنسان بالانخراط في إشراقة الوجود والإنصات إلى نداء ما ينقذ. إن الإعجاز اللغوي الذي امتازت به اللغة العربية يسمح لها أن تنهض متى وجدت من يحرر منابعها من الجمود، ويرفع من مقامها التداولي والاستعمالي، ويعيد النظر في علاقتنا السيئة بها. شكل الإنصات إلى اللغة جوازا يسمح للشعوب من الدخول إلى التاريخ ،والمساهمة في تحديد جغرافية العقل الإنساني. فالإغريق والعرب والرومان وكل الثقافات التي ساهمت في البناء الحضاري كانت مساهماتها الإبداعية بفضل اقتدار اللغة على قول المفاهيم وإنبات المعنى. وما فضل لغتنا العربية على الحضارة إلا فضل كثير. رب لغة هي نعمة النعم تتحول إلى خطر يهدد، والى عنف يأتي على القيم فيبيدها. رب لغة أسكنت الوجود وتكتمت على لغزيته وشكلت خرائط العالم تتحول إلى مفازات وإلى قفر من اللامعنى. تصبح اللغة هي ما ينقذ العرب من الخطر ومن الاندثار الثقافي. يمكن أن تتحدد أزمات العالم العربي في خيبات اللغة العربية وعدم قدرتها على التفكير، لان الطريق إلى الحداثة العربية يبدأ من اللغة ومن التفكير في إبداع المفاهيم وطرح الأسئلة .

أ ماريف: ماهي قراءتك للتحولات الجيو سياسية التي تشهدها المنطقة العربية؟

د الفريوي: ما يعيشه العالم العربي في الوقت الراهن هو حالة ميتافيزيقية، ولحظة تاريخية قاسية يمر بها العقل نتيجة الفراغ الروحي والفقر المعرفي الذي استبد به منذ قرون . كيف لشعب أغلبية سكانه لا يقرؤون ولا يكتبون أن لا يبلغ هذا الانكسار الوجداني، وكيف لا تحيط به الملمات والكوارث التي طالت ذاكرته ونالت من هويته. لم يعد المجتمع العربي قادرا على مجابهة مصير سقط في مستنقع اليومي. فقد جرفت وعيه ثقافة الاستسهال واللامبالاة، وهيمنت على توجهاته واختياراته إغراءات الصورة وإغوائها. تحول إلى مجتمع مشهدي مسطح، سقط في فخ الوسائط البصرية بمختلف أشكالها، استهوته اللذة الافتراضية وإستهامات الرغبات الاستهلاكية في الإشهار وفي الصناعات الثقافية الموجهة .معنى ذلك أن المجتمع العربي يتدحرج إلى قاع الأزمة وليس له من خيار سوى الاستجابة لحركة التاريخ ،بعد أن مزقته قوى جيو سياسية يصعب السيطرة عليها الآن.

إن ما حصل من تحولات سياسية، وما عرف بالربيع العربي في بعض الدول العربية يعكس حقيقة هذه الأزمة، وعدم القدرة على السيطرة عليها . فعوض أن نتغلب على التصحر وعلى القحط الانطولوجي الذي سرى في وعينا، ونحقق تحولات ايجابية في حياتنا المجتمعية، سقطنا في دوامة العنف والتقاتل والتناحر من اجل مكتسبات يومية، وانقطع التواصل البناء. لم تعد اللغة قادرة أن تمنحنا حوار السلام والتسامح، وتحولت لغتنا العربية إلى لوث لغوي والى علامات جوفاء تعكس أزمة المعنى التي تتوطننا . إن ما يجري على ارض الواقع العربي هو نتيجة لهذا النسيان الذي طال وجودنا، واجل طرح سؤال ما ينقذ. كان بالإمكان أن يطرح هذا السؤال منذ وعد بيلفور ومؤتمر سايكسبيكو، لان ما نعيشه اليوم هو نتيجة لتلك القرارات التاريخية التي قبلنا بها دون أن نحملها بعدها التاريخاني، وما سينجر عنها في المستقبل.

والأخطر من هذا كله، أن المثقف العربي والمفكر الأكاديمي ترك ساحة المواجهة، وإنكفأ إلى ذاته دون اكتراث بخطر العدمية الروحية التي تنشرها جهات مقنعة ،لمصلحة مشاريع ترفض حقنا في الوجود. فهل يمكن أن يختفي المثقفون وتجفف ثقافة المقاومة، ويعهد إلى الإعلام مواجهة الخطر وتدارس أمرنا وما يحنبنا الكارثة بلغة تفتقر إلى الدلالة، وبطرح أسئلة مجففة من المعنى، ويسمح للإعلامي والسياسي بطرح سؤال ما ينقذ المصير. كان من نداء الواجب على المثقف العربي أن يفتك المشهد، وأن يحلل مفاعيله وأفاعيله وأن يفكك طبيعة هذه التحولات، ويكشف عن ظواهرها الغريبة عن ثقافة المنطقة، وأن يرصد الينابيع الاديولوجية لهذه الفوضى المفزعة التي أتت على كل جغرافيتنا، وان يقوض لغزية هذا القبح المريع الذي ينثره الإرهاب العالمي.

لقد فاجئنا التاريخ، وتذمرت منا الأرض، وتنكرت لنا اللغة بعد أن جففناها من المعنى. حاصرتنا الجغرافيا لنواجه مصيرا مرعبا لا تستطيع مقدراتنا أن تمنحه حلا. وفي ظل هذه الأزمة، يصبح الحل الجمالي هو الأنسب، ومقاومة ميتافيزيقا الصورة الافتراضية، واللامعنى

الذي يجسده الإرهاب هو النداء الانطولوجي للإنصات لمن ينقذ. وتتحول النار الحارقة للعالم، اللاهبة في أجساده وأشيائه إلى عنصر مريع يبعث الاندهاش في حيرتنا وصمتنا والى دفق جمالي نعثر فيه عن أحلامنا المتلاشية في حافة الذاكرة، في الآن ذاته، تمنحنا النار الحكمة الأولمبية لنتطهر بها من لوث النسيان الميتافيزيقي، ونتوظأ بها من خطيئة التيولوجيا العدمية، بعد أن شحت ينابيع الماء في وطن مفتوح على معراج السماء. تظل هذه العدمية مبعثا للقلق، وحدثا صادما يضاعف من دهشتنا ويزعزع ثوابتنا للانعراج إلى الضفة المقابلة، والانفتاح على حدثية انطولوجية لبدو جديد قد يتحقق في المستقبل.

أ ماريف: ماذا تكتب الآن للمستقبل؟

د الفريوي: بفضل اهتمامي الفلسفي وتدريسي للجماليات والإبداع في معاهد الفنون الجميلة، أدركت أهمية الفكر الانطولوجي في تحرير الإنسان من الغفلة، وفي توجيهه إلى تقويض إقفال البداهات وأختام الثنائيات، والتفكير في ما يرسم لنا مشروع حداثي عربي، ينور لنا الطريق للالتحاق بركب الحضارة. لقد أدركت أن الفكر المنقذ والمؤسس يتجذر في التقاطع بين الفن والفلسفة، أو في حدث انفتاح المحايثة التي سمحت للفيلسوف ان ينحت مفاهيمه من فجوة الوجود التي يعبر عنها الفن، ومكنت الفنان من إبداع أعماله من تقوى أسئلة الفلسفة، وعهد أفكارها، ولذلك اسعي الى الكتابة في هذا الموضوع وتأثيث الدروس والمحاضرات التي أقدمها إلى طلبتي بهذه الأسئلة الحائرة. كما أني انتهيت من تأليف كتاب جديد حول هذا الموضوع احتفظ بعنوانه إلى أن يرى النور عما قريب.

أ ماريف: وحتى نلتقى في حوار،تفضل باختتام هذا اللقاء .

د الفريوي في ختام هذا اللقاء الذي جمعني بكم، و بأسئلتكم الهادفة إلي إعادة النظر بما نفكر فيه، وما يجب أن نطرحه على راهننا العربي. أتمنى أن يظل الحوار متواصلا بين المهتمين بالشأن الفكري والقارئ العربي، لان ما يحتاجه النص لتحقيق رهاناته هو نقل لذته إلى القارئ، وإحداث ضرب من التلقي الجمالي يولد مجموعة من الأسئلة الصادمة لدى المتلقي. فما يهمني شخصيا هو ما تولده الكتابة من أسئلة جذمورية وما تؤسسه من هوامش تحمل تفكيرنا إلى تقويض بداهات النص وفتح مغاليقه على التأويل وعلى مجاوزة المعنى. اعتقد أننا نحتاج إلى نصوص تفكر بالقارئ قبل أن تفكر بذاتها، لان أسئلة المتلقي هي تقوى أسئلة المفكر وعهد تفكيره .

أشكرك سيدي القارئ على هذه الأسئلة المتميزة التي حرضت لغتي على القول، وعلى التعبير عن مشتركنا وانتظاراتنا. فنحن في منطقتنا نحتاج الى هذه الحوارات التي تولد فينا دهشة الأسئلة وتعفينا من ميتافيزيقا الأجوبة، لان السؤال يظل تقوى التفكير بما ينقذ وبما يجعل من عقلنا العربي عقلا مساهما في فكر الألفية الثالثة.